مصطفى عبد اللطيف درويش
ليسانسيه في القانون والاقتصاد السياسي

الأوثان

تاريخها . أصلها . كيف عبدت ؟

راجعه وعلق عليه وخرج أحاديثه
محمد نجيب المطيعي

« يوشك أن يهدم الإسلام حجراً حجراً من جهل عادات الجاهلية » .
[عمر بن الخطاب]

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام ، والصلاة والسلام على رسوله محطم الأوثان والأصنام .

أما بعد :

فإن الإسلام يختلف عن سائر الأديان فى أنه لا يستمد أصوله من الثياب الفضفاضة والأزياء الكهنوتية ، فليس فى الإسلام سوى لباس التقوى .

ولا يستمد أصوله من الرياسات والمناصب والألقاب الدينية « هُوَ[1] سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ » ولا شىء غير هذا .

ولا يستمد أصوله مما عليه الكثرة أو جرى به العرف أو تلقاه الناس عن الآباء والأجداد ، لأن التقليد شىء

---

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج .

يهدر كرامة الإنسان ويلغى عقله وينزل به إلى مستوى القطعان من الماشية التى تتبع المقدمة .

إنما يستمد الإسلام أصوله من مشرع واحد هو الملك الجبار على العرش استوى وهو الذى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرر حقيقة خالدة « إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى[1] إِلَيَّ » .

هذه الأصول ثابتة فى الكتاب والسنة .

والذى يقول إن الكتاب نزل ليحارب وثنية معينة ، وليعالج بيئة وظروفا محددة هى التى وجدت فى زمن التنزيل ، الذى يقول بهذا إنما يقول بلسان حاله : إن حفظ الكتاب إلى أن تقوم الساعة عبث لا قيمة له .

إن هذا الكتاب نزل ليقضى على وثنية اللات العزى ومناة ، مهما اختلفت الأشكال ، وتنوعت الأسماء ، وتوالت العصور ، وتتابعت الأجيال .

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنعام .

لأنه كتاب هداية ، لا كتاب تاريخ ،
وطريق المهتدين لا أساطير الأولين .
وضياء للسائرين ، لا سير للأقدمين .

نزل ليدك صروح الوثنية والشرك والإلحاد فى كل زمان ومكان ، فإذا قال :

« يا أيها الإنسان .. .. .. » .

فهو يخاطب الإنسان فى كل عصر ومكان حتى تنتهى الإنسانية من على الأرض .

ولا يكون جديراً بشرف الخطاب إلا من فتح أذنيه للسمع ووعى عن رب العالمين .

وخطاب الله روح « وَكَذَلِكَ[1] أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا » والذين لا يستجيبون للخطاب هم الموتى وإن كانوا على الأرض يتحركون .

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى .

وخطاب الله حياة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمنوا اسْتَجِيبُوا لله وللرَّسُولِ إذا دعاكُمْ . لِمَا يُحْيِيكُمْ » والذين لا يستجيبون هم الذين تجردوا من الحياة، فأصابهم التعفن والتحلل، وإن كانوا على الأرض يمرحون .

والتوحيد شجرة تستمد الحياة من المورد الخالد الذى نبع من فوق السماء السابعة . هذه الشجرة تعطى ظلا من العزة والكرامة للذين يحتمون تحت أغصانها .

أما الذين وضع التقليد عصابة سوداء قاتمة فوق أعينهم فحجب عنها ظلال العزة والكرامة ، فسيكتوون بنار الوثنية بعد أن ظلت قلوبهم منكسرة ذليلة راهبة راغبة إلى غير الله تعالى .

والأوثان أضلت كثيراً من الناس على غير ما يعلم الناس ، وقد سجل هذا القرآن الكريم على لسان خليل الرحمن إبراهيم

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الأنفال .

عليه السلام الذى اتجه إلى الله تعالى رغم هذه الخلة داعياً أن يجنبه عبادة الأوثان .

« .. وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ (١) أنْ نَعبُدَ الأصنامَ : رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيراً منَ النَّاسِ ... » .

فلعل فى معرفة تاريخ الأوثان وأصلها وكيف عبدت ؟ شىء يجذب الإنسان عبادتها والوقوع فى ضلالها .

اللهم اربط على قلوبنا واجعلها لا تتجه إلا إليك .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة إبراهيم .

معنى الوثن

إذا كان المعبود من دون الله معمولا من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان فهو صنم ، وإذا كان من حجارة فهو وثن ، ذكره أبو المنذر هشام بن محمد فى كتابه الأصنام .

والبعض لم يفرق بين الصنم والوثن ، فكل ما كان على هيئة تمثال من الذهب أو الفضة أو الخشب أو الحجارة أوغيرها فهو الصنم ، أو الوثن ، سواء أكان على صورة إنسان أو غيره

وجاء فى كتاب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله ، وذلك فى تفسير قول الله تعالى : « وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » الآية ٣٥ من سورة إبراهيم قال الشيخ :

« الصنم ما كان منحوتا على صورة البشر ، والوثن ما كان منحوتا على غير ذلك ، ذكره الطبرى عن مجاهد .

والظاهر أن الصنم ما كان مصورا على أى صورة والوثن بخلافه كالحجر والبنية وإن كان الوثن قد يطلق على الصنم ، ذكر معناه غير واحد ، ويروى عن بعض السلف مايدل عليه » اه

والأصح أن الوثن هو كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى ، سواء أكان هذا المعبود الباطل حجرا ، أم شجرة ، أم تمثالا ؛ أم قبرا ، أم صورة ، أم نُصُبا ، أم صخرة ، أم شيئا غير هذا .

فإذا كان المعبود من دون الله إنسانا فإن كلمة وثن تطلق على كل ما صنع رمزاً له ، واتجه إليه الناس بالعبادة .

وفى الواقع أن كل ما عبد من دون الله تعالى سواء أكان هذا المعبود بشرا أم جنا أم شمسا أم قمراً أم نجما أم ناراً أم شيئا آخر فإن العابدين يصنعون لمعبوداتهم الباطلة هذه رموزاً أو أشياء أو تماثيل أو نُصُبا تمثلها وترمز إليها ، ويتجه الناس إليها بالعبادة . هذه الرموز والنصب هى الأوثان ، وهذا الكلام له ما يؤيده من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سمى

رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر إذا اتجه الناس إليه بالمودة وثنا فقال يدعو الله تعالى :

« اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ . . .[1] » .

ودخل عدى بن عدى بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عدى قد ترك النصرانية ودخل فى الإسلام حديثا وكان يتدلى من رقبته صليب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطرح[2] عنك هذ الوثن » .

وكانت العزى شجرة يعبدها العرب فى الجاهلية وصنعوا لها بيتا وجعلوا له سدنة وحجابا فلما كان عام الفتح دعا النبى

---

(١) هذا الحديث رواه مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم ولم يذكر عطاء ، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى متصلا مرفوعا وفى مسند أحمد من طريق سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة .

(٢) أحمد والترمذى .

صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقال له انطلق[1] إلى شجرة ببطن نخلة فاعضدها » يعنى اقطعها فقطع خالد بن الوليد الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن وقتل السادن (نقيب بيت العزى) وكان بيت العزى من البيوت التى تعظمها العرب وتطوف بها وتتمسح ، وتقدم لها الذبائح والقرابين .

فالشجرة إذا عبدت صارت وثنا .

ولما طلب الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط؛ شجرة يعلقون عليها أسلحتهم و يتبركون بها كما يفعل المشركون قال عليه الصلاة والسلام : « [2] قلتم كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » .

وهكذا الشجرة إذا عبدت بطلب البركة منها صارت وثنا.

وعن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط (جماعة) فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا :

---

(١) ابن جرير فى التاريخ وابن إسحاق فى السيرة .

(٢) رواه الترمذى وصححه من حديث أبى واقد الليثى .

يارسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ قال: إن عليه تميمة (حجاب) فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال عليه الصلاة والسلام: « من علق تميمة فقد أشرك » رواه الحاكم وأحمد .

فالتميمة يمكن أن تكون وثنا يعبد عندمن علقها ويشرك بها مع الله تعالى .

ولابن أبى حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلا فى يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى : « ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

فالرجل الذى علق الخيط يتخذه حجابا يعتقد أنه ينفعه من الحمى قد جعله وثناً يعبد، وأشرك بالله كما يتضح من الآية التى تلاها حذيفة رضى الله تعالى عنه .

وهكذا يتضح من هذه الأحاديث أن القبر والصليب والشجرة والتميمة والخيط كل هذه الأشياء إذا عبدت صارت أوثانا، فالوثن كلمة عامة تطلق على كل ماعبد من دون الله تعالى.

العبادة

عرفنا أن الوثن هو كل ما عبد من دون الله فما معنى العبادة ؟

العبادة يعنى الذل والخضوع، ومنها : طريق معبد ، يعنى مذلل للسائرين .

فالعبادة ذل وخضوع من العابد للمعبود ، مع اعتقاد وجود قوة خفية فى هذا المعبود تملك الضرر والنفع ، فوق الأسباب والمسببات ، هذه القوة الخفية تقذف فى قلب العابد الرغبة والرهبة إلى من يعبده .

وأصل العبادة مقرها القلب فى انكساره، ورغبته ورهبته إلى معبوده ، أما سائر الصور الخارجية من مناسك وشعائر ، فهى مظاهر العبادة ، والتعبير الخارجى عما استقر فى القلب من إحساس ومشاعر .

فعبادة الله سبحانه وتعالى هى رغبة القلب ورهبته إليه

جل شأنه . أما الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها فهى الصور الخارجية المعبرة عن رهبة الإنسان ورغبته إلى ربه سبحانه وتعالى .

فالعبادة مزيج من الخوف والطمع (وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعًا[1]) وقال تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ[2]) .

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليك[3] » الحديث .

هذا الخوف والطمع هو الذى يجعل الإنسان يتجه إلى ربه متوكلا عليه مستعينا به مع الإحساس بمنتهى الحب لله سبحانه

---

(١) من الآية ٥٦ من سورة الأعراف

(٢) الآية ٢٠ من سورة الأنبياء .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه وأوله : إذا أخذ أحدكم مضجعه فليتوضأ وضوءه للصلاة ثم ليضطجع على شقه الأيمن ثم يقول الخ .

وتعالى ، فقلب العابد تتمثل فيه أحاسيس ثلاثة نحو معبوده .

أولا : الخوف والرهبة .

ثانيا : الطمع والرغبة .

ثالثا : الحب .

فنحن نخاف الله تعالى ونخشاه لا لأنه مخيف مفزع سبحانه وتعالى ، فهو الرحمن الرحيم ، إنما نخافه ونخشاه ونحن فى نفس الوقت نحبه حبا لا يعدله حب ، ونطمع فى رحمته .

هذه الأحاسيس والمشاعر كانت تتمثل فى قلوب الوثنيين نحو أوثانهم ، فشعروا نحو الأوثان بشيء من الخوف والخشية يتمثل فى أنها تملك لهم الضرر بقوة خفية وراء الأسباب والمسببات ، وشعروا نحوها بشيء من الرغبة والطمع يتمثل فى أنها تملك لهم النفع بقوة خفية وراء الأسباب والمسببات ، وشعروا نحوها بالحب وميل القلب ، وفى هذا يقول الله

سبحانه وتعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ »(١) أى يحبون هؤلاء الأنداد حبا لا يكون إلا من عابد لمعبوده .

وهذا الإحساس من الوثنيين نحو أوثانهم هو لاعتقاد النفع والضر بها وعندها ، ولذلك كانت دعوة الرسل عليهم صلاة الله وسلامه تتركز أصلا فى تعليم الناس أن الأوثان لاتضر ولا تنفع ، وأن النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى وهو وحده الذى ينبغى أن يتجه إليه القلب طمعا وخوفا وحبا .

وإذا كانت عبادة الله سبحانه وتعالى تتمثل فى إحساس القلب نحوه تعالى بالرغبة والرهبة والحب ، وأن الصلاة والزكاة والحج وغيرها من المناسك والشعائر ماهى إلا مظاهر خارجية تعبر عن هذه الأحاسيس .

---

(١) ٦٥ من سورة البقرة .

وكذلك الحال بالنسبة للوثنيين نحو أوثانهم فهم يحسون نحوها بالحب والرغبة والرهبة ، ثم يترجمون هذه الأحاسيس فى مظاهر خارجية تتمثل فى تقديم القرابين والذبائح لها وإرضاء سدنتها وحجابها ونقبائها ، والطواف والتمسح بها والعكوف عليها واتخاذ الأعياد والمواسم والأيام لها وتعظيمها ، ألا ترى أنهم رفعوا السيف دفاعا عنها ؟ ولم يكن ذلك عن عقل وتفكير إنما كان اندفاعا أعمى وراء العرف والتقاليد والوراثة ودين الآباء والأجداد . فهذه الحجارة والنصب التى عظموها وأذلوا أنفسهم لها ، معتقدين فيها النفع والضرر مع ذلك رفعوا السيف دفاعا عنها ، ألم يكن أولى لهم أن يتركوا هذه الآلهة المزعومة تدافع عن كيانها ؟ وهى التى تضر وتنفع فى نظرهم ؟ ولكنه لم يكن الدفاع عن الآلهة والأوثان بقدر ماهو الدفاع عن العرف الموروث ، والتقاليد والعصبية ، وما جاء عن الآباء والأجداد .

هذا وأبين مظهر للعبادة هو الدعاء ، ولهذا قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « الدعاء[1] مخ العبادة » ومخ الشيء هو مركزه الرئيسي الذي إذا تسرب إليه الخلل فإن سائر الأجزاء تتعطل حتما . الدعاء مخ العبادة لأن فيه تظهر عبودية الداعي وذله وعجزه عن دفع الضر وجلب النفع فينكسر قلبه متجها في خوف وطمع وحب إلى معبوده ليدفع عنه الضر وليجاب له النفع ، ولذلك جاءت كلمة « تَدْعُونَ » في أغلب الآيات القرآنية التي تعيب على الوثنيين عقيدتهم بدلا عن كلمة « تَعْبُدُونَ » .

قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[2] » .

وقال : « قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا

---

(١) وهو في سنن أبي داود والترمذي : وقال : حسن صحيح عن النعمان ابن بشير بلفظ « الدعاء هو العبادة .

(٢) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٥٦ من سورة الاسراء .

يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا »

وقال : ذَلِكُمُ[1] اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ »

وقال : وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ[2] » وهكذا فى آيات كثيرة .

ولما كان الدعاء هو أبين مظاهر العبادة فقد بين الله ربنا جل شأنه أنه يجب ألا يتجه الدعاء إلا إليه فقال :

وَقَالَ رَبُّكُمُ : ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ[3] » .

وقال : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ[4] » .

وقال : ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً[5] » .

(١) الآية ١٣ من سورة فاطر .
(٢) الآية ٢٠ من سورة النحل .
(٣) الآية ٦٠ من سورة غافر .
(٤) الآية ١٨٦ من سورة البقرة .
(٥) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .

وقال: وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطمعاً[1] »

وقال: « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ[2] »

(١) من الآية ٥٦ من سورة الأعراف

(٢) من الآية ١٤ من سورة الرعد .

بداية الوثنية فى العالم

عرفنا معنى الوثن ومعنى العبادة ، فننتقل الآن إلى بداية ظهور عبادة الأوثان فى العالم .

جاء فى كتاب الأصنام لأبى المنذر هشام بن محمد ، وفى كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزى تحت عنوان : «ذكر بداية تلبيسه على عباد الأصنام» وردت عن ابن عباس رضى الله عنهما :

«أول ماعبدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى هبط عليه آدم بأرض الهند . وكان بنو شيث يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل بن آدم .....: يابنى قابيل ؛ إن لبنى شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شىء ، فنحت لهم صنما فكان أول من عملها »

وهذه الرواية لايشك فى صحتها لأنها وردت عن ابن عباس

رضى الله عنها ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة مستجابة فقال: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينَ وَعَلِّمْهُ التَّأوِيلَ » ولما كانت هذه الراية إخباراً عن أمور من الغيبيات فلا يعقل أن يقول ابن عباس هذا من عنده إلا إذا كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وهذه الرواية يستخلص منها أمور هي :

أولا : آدم عليه السلام لما مات دفن فى مغاره وأجساد الأنبياء لاتبلى لنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الله تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أنْ تأكُلَ أجْسَادَ الأَنبِيَاء »(٢).

---

(١) ليس هذا شرطا وليس الاخبار بالحوادث السابقة إخبارا عن غيب وإنما هو إخبار عن شىء وقع يستظهر علمه رواة الأخبار وقصاص السير الذين يحتمل أن يكون قد سمع منهم ابن عباس وهذا الخبر موقوف على ابن عباس ولايعتبر حجة فى هذا المقام عند المحدثين، والحديث بالدعاء لابن عباس رواه البخارى بلفظ : اللهم علمه الحكمة وفى رواية لمسلم : اللهم فقهه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، =

ثانيا : هذه المغارة أصبحت دواراً ومطافاً لفرع من ذريته (بنى شيث) وأن هذا الدوار كانوا يعظمونه .

ثالثا : الأمر بدأ أولا بتعظيم الجسد ، والترحم عليه ، ثم انتهى التعظيم إلى المكان المدفون فيه ؛ فأصبح دوارا ومطافا، تبركا بالمغارة نفسها ، لمنزلة المدفون فيها آدم عليه السلام .

رابعاً : الفرع الآخر من بنى آدم وهم بنو قابيل بن آدم دفعهم التقليد إلى أن جعلوا لأنفسهم دواراً يدورون حوله ويعظمونه .

خامسا : لم يرد بهذه الرواية كيفية تعظيم هذا الدوار وربما يكون بالتمسح والعكوف وتقديم القرابين واتخاذ الأعياد لتشابه الوثنيات فى أعمالها .

وجاء أيضا فى المراجع السابقة : وورد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى : « وَقَالُوا لَاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ

= ورواه أبو حاتم قال البيهقى : وله شواهد وروى أيضا عن ابن مسعود وأبى الدرداء عند ابن ماجه ورواه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبى هلال

وَلاَ تَذَرُنَّ وداً وَلاَ سُوَاعَ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً [1]» وهى أسماء أصنام عبدها قوم نوح عليه السلام ، وانتقلت عبادتها إلى العرب جاء بالنص :

« كَانَ وَدٌّ وَسُوَاعُ وَيَغُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ قَوْمًا صَالِحِين مَاتُوا فِي شَهْرٍ فَجَزِعَ عَلَيْهِمْ ذَوُو أَقَارِبِهِمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَابِيلَ : يَاقَوْمِ هَلْ أَعْمَلُ لَكُمْ خَمْسَةَ أَصْنَامٍ عَلَى صُوَرِهِمْ غَيْرَ أَنِّى لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجْعَلَ فِيهَا أَرْوَاحًا ؟ قَالُوا نَعَمْ فَنَحَتَ لَهُمْ خَمْسَةَ أَصْنَامٍ عَلَى صُوَرِهِمْ وَنَصَبَهَا لَهُمْ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِى أَخَاهُ وَعَمَّهُ وَابْنَ عَمِّهِ فَيُعَظِّمُهُ وَيَسْعَى حَوْلَهُ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ الْقَرْنُ الْأَوَّلُ [2] .

ثم جَاءَ قَرْنٌ آخَرُ فَعَظَّمُوهُمْ أَشَدَّ مِنْ تَعظِيمِ الْقَرْنِ الأولِ ثمَّ جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ماعظَّمَ أوّلونا

---

(١) سورة نوح الآية ٢٣ .

(٢) هذا من كلام محمد بن كعب القرظى ، أما ماروى عن ابن عباس فهو فى صحيح البخارى ولفظه مذكور ساقه المؤلف المطيعي .

هَؤُلَاءِ إِلَّا وَهُمْ يَرْجُونَ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فَعَبَدُوهُمْ وَعَظُمَ أَمْرُهُمْ وَاشْتَدَّ كُفْرُهُمْ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا فَدَعَاهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا » .

وهذه الرواية كسابقتها يستخلص منها أمور هى :ـ

أولا : الأصل هو تعظيم الأقوام الصالحين بعد موتهم كما كان الأصل فى الرواية السابقة تعظيم آدم عليه السلام ولم يكن الأصل هو عبادتهم .

ثانيا : المتفق عليه فى الروايتين هو السعى أو الطواف حول الأماكن التى بها نصب هؤلاء الأقوام الصالحين .

ثالثا : كلما مر جيل بالغ فى تعظيم نصب هؤلاء الأقوام الصالحين حتى وصل الأمر إلى تعظيم العبادة ، وأن السبب فى هذا كما جاء فى هذه الرواية (ماعظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله) .

ولعلك الآن تفهم السبب الذى من أجله ينهى الإسلام عن الغلو فى أى شىء .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير «ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا» .

« هى أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا (ماتوا) أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت » رواه البخارى .

وذكر ابن كثير فى تفسيره :

«... عن أبى المطهر قال : ذكروا عند أبى جعفر وهو قائم يصلى يزيد بن المهلب قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله قال : ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا فى قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه ... إلى أن قال : حتى

اتخذوا إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله الصنم الذى سموه ودا » .

هذه هى بعض الروايات التى وصلت إلينا فى بيان أول وثنيات ظهرت فى العالم ، وهذه الروايات جميعها تتفق فى أصول واحدة هى :

١ — الأمر بدأ بتعظيم الموتى الصالحين .

٢ — وانتهى إلى اتخاذ هذه القبور مطافا ودوارا ومكانا للعكوف والتبرك وتقديم القرابين وطلب النفع ودفع الضر بها واتخاذ الأعياد والأيام لها .

٣ — الأصل الواحد فى كل هذه الروايات هو الاستشفاع بها عند الله تعالى والتقرب بها إليه لمكانة أصحاب هذه القبور عنده .

الوثنية عند العرب

حارب إبراهيم عليه السلام الوثنية فى قومه ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وبين لهم أن الأوثان لا تسمع الدعاء ، ولا تضر ولا تنفع ، فكانت حجة قومه الوحيدة أنهم وجدوا آباءهم هكذا ، ثم جاءهم بحجة عملية فحطم الأوثان كلها إلا كبيراً لهم ليبين لهم أنها لا تملك حتى الدفاع عن نفسها ، ولكن الدفاع عن العقيدة الموروثة دفعهم إلى الانتقام منه بإلقائه فى نار أوقدوها فنجاه الله تعالى منها .

وهاجر إبراهيم عليه السلام إلى مكة فسكنها وهناك رفع هو وولده إسماعيل عليهما السلام القواعد من أول بيت وضع للناس .

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ

لكَ وَمِنْ ذرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إنكَ أنتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ »

وولد لإسماعيل عليه السلام بمكة ذرية كثيرة ، ومرت الأجيال فضاقت بهم مكة فخرجوا منها إلى غيرها ، يلتمسون سبل العيش ، وهم مع ذلك على التوحيد الذى تركهم عليه إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام ، ثم دبت فيهم بعد ذلك عبادة الأوثان . يقول أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي في كتابه الأصنام

« وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن (يرحل) من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة (حنينا إليها) فحيثما رحلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبًّا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ».

ثم يقول : « وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم

---

(١) الآية ١٢٧ من سورة البقرة .

وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة، وإهداء البدن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس منه ، فكانت نزار (قبيلة) تقول إذا ما أهلت :

لبيك اللهم لبيك . . . لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » .

وهكذا غيرت ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دين الإسلام الذى جاء به إبراهيم عليه السلام ؛ بأن أدخلوا فيه ماليس منه ؛ حتى أدى بهم هذا التغيير إلى عبادة الأوثان مع المحافظة على بقايا المناسك الصحيحة ؛ التى توارثوها من دين إبراهيم عليه السلام ، وذلك فى الحج والعمرة .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إنى لأَعْرِفُ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَغَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ»(1)

---

(1) الحديث فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت

عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالُوا : وَمَنْ هُوَ يَارَسُول اللهِ ؟ قَالَ : «عَمْرُو بْنُ لُحَيّ أَخُو بَنِي كَعْبٍ رَأَيْتُه يَجُرُّ قُصْبَه (أمعاءه) فى النار» ومعنى سيب السوائب أن العربى فى الجاهلية كان يقول : إذا شفيت من مرضى أو قضيت حاجتى فناقتى سائبة ، ثم يسيبها الأوثان ، لا تركب ولا ينتفع بها ، ولا تدفع عن مرعى أو ماء .

وفى حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عَمْرو بن لُحَيّ) كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ فَنَصَبَ الأَوْثَانَ ... » .

عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب . وعند ابن جرير عن أبى صالح عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : « يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم: تخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى » وقال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزامة عمرو بن عامر وإنى رأيته يجر أمعاءه فى النار » .

وكان عمرو بن لحى يلى أمر الكعبة بعد أن قتل من تولى حجابتها من بنى إسماعيل عليه السلام وأجلاهم عن الكعبة وتولى أمرها ونصب حولها الأوثان ، وبمرور الأجيال دخلت الوثنية فى العرب مع الاحتفاظ بمناسك الحج والعمرة كما كانت فى دين إبراهيم عليه السلام بعد أن أدخلوا فيها ما ليس منها ولم يبق من العرب على ملة إبراهيم عليه السلام الصحيحة من حيث التوحيد فى العقيدة إلا قلة ضئيلة جداً لا تذكر . يقول ابن إسحق فى السيرة :

« واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيداً لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا (يعنى تحدث الأربعة سرا) ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، تعلمون والله ماقومكم على شىء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر يطيف به يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟! ياقوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم

والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم » .

قال ابن إسحق : حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يامعشر قريش؛ والذي نفس زيد بن عمرو بيده ماأصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري .

هكذا انتهى العرب إلى الشرك بعد أن تركهم إبراهيم عليه السلام على التوحيد ، وهكذا عبدوا الأوثان إلا قلة تمسكت بالحنيفية كما هي وكان الذي دفعهم إلى عبادة الأوثان التغيير والتبديل الذي أدخلوه في دين إبراهيم عليه السلام حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ليعيد الإسلام الذي جاء به إبراهيم عليه السلام كما كان ، ويزيل عنه ما أدخله العرب فيه من الشرك والضلال .

« ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[1] »

فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام والتوحيد قالوا : نحن على ملة إبراهيم . فبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم غيروا وبدلوا فى ملة إبراهيم وأن الله تعالى بعثه ليعيد الملة الحنيفية بيضاء نقيه كما كانت ، وجاء قول الله تعالى ينفى عن إبراهيم عليه السلام اليهودية والنصرانية والشرك .

قال تعالى : « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَـكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

ثم يبين تعالى أن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام وأحق الناس بالانتساب إليه هم الذين اتبعوه لا هؤلاء الذين بدلوا ما جاء به فقال تعالى :

---

(١) الآية ١٦ من سورة النحل .
(٢) الآية ٦٧ من سورة آل عمران .

« إن أَوْلَى النَّاسِ بإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا »

ولقد قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ فقال عليه الصلاة والسلام .

« أى عَمِّ هَذَا دِينُ اللهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَدِينُ رُسُلِهِ وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ »

وهكذا يثبت التاريخ المؤيد بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى دفع العرب إلى عبادة الأوثان هو التغيير والتبديل فى ملة إبراهيم عليه السلام ، ولهذا جاءت أحاديث كثيرة مستفيضة تنهى عن البدع ومحدثات الأمور والإدخال فى الدين ماليس منه ، وسوف يأتى الكلام عن الأسس التى وضعها الإسلام حتى لا يتغير الدين كما تغيرت ملة إبراهيم ، وحتى لا تتسرب عبادة الأوثان إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها هذا الأساس وهو النهى عن البدع ومحدثات الأمور .

---

(١) الآية ٦٨ من سورة آل عمران .

(٢) سيرة ابن إسحاق .

من أوثان العرب

أوثان العرب كثيرة ذكر منها القرآن الكريم ثلاثة قال تعالى :

« أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى »

ومناة أقدمها كلها وكانت العرب كلها تعظمه وتذبح حوله وتهدى له ، فكانوا يحجون فيؤدون المناسك كلها إلا أنهم لا يحلقون رءوسهم إلا عند الصنم مناة ، ويقومون عنده، لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك .

أما اللات فقد قرأها ابن عباس رضى الله عنهما بتشديد التاء وقال : «كان رجلا صالحا يلت للحجيج السويق فى الجاهلية (نوع من الطعام) فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه » .

أما العزى فهى شجرة تعظمها العرب وقد بنت لها بيتا

---

(١) الآية ١٩ من سورة النجم .

له سدنة وحجاب ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ، ويتقربون عندها وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول :

« واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى[1] » .

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

« وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ »[2]

والعبادة هي التقرب بالعكوف والذبح والطواف .

وكانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع التمسح به أيضا .

والتمسح بالوثن إذا قدم من سفره أول ما يصنع .

وكان لهم صنم يقال له « عم أنس » بأرض خولان وكان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله عز وجل بزعمهم أن يجعلوا للصنم وسدنته وحجابه نصيبا

---

(١) ابن إسحاق

(٢) الآية ١٨ من سورة يونس .

ولله تعالى أى للفقراء نصيبا ؛ فإذا دخل شىء مما جعل لعمأنس فى حق الله ردوه عليه ، وأعادوه للصنم ، وإذا ما دخل شىء مما جعل لله تعالى فى حق الصنم تركوه ، وفى هذا يقول الله تعالى:

« وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

وهذا النص يدل بوضوح على أن العرب فى الجاهلية كانت لهم نذور خالصة لله تعالى ، كما كانت لهم نذور خالصة للأوثان ، وكانوا يعتقدون أن هذه الأوثان لها غضبها وتستطيع أن تنال ممن ينال منها ، أو يقصر فى حقها ، فقد كان لهم صنم يقال له : « الفلس[2] » كانوا يعبدونه ويذبحون عنده ، وإذا دخل شىء من الأنعام فى حوزته وحرمته يترك له ولا يسترد ، فحدث أن دخلت ناقة لامرأة فى حوزة الوثن فاستولى عليها

(١) من الآية ١٣٦ سورة الأنعام .

(٢) الفلس بكسر الفاء صنم لطىء .

السادن، وكانت هذه المرأة جارة لمالك بن كلثوم ؛ فأخبرته بما حدث من استيلاء سادن الصنم على الناقة فذهب مالك ابن كلثوم واسترد الناقة من حوزة الصنم ؛ وكان عدى بن حاتم يومئذ قد جلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وينتظرون ما يصيبه من الصنم لفعلته ، فمرت الأيام ولم يصبه شيء فرفض عدى بن حاتم عبادة الأصنام ، وتنصر (اعتنق النصرانية) حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنق الإسلام .

وكانوا يلتمسون البركة من هذه الأوثان لاعتقادهم أنها تقربهم من الله تعالى ، وتشفع لهم عنده .

ذكر ابن إسحق فى السيرة : « وكان لبنى ملكان صنم يقال له : « سعد » وهو صخرة طويلة ، وكان يهراق عليه الدماء ، فأقبل رجل بإبل له ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ورأت الدماء نفرت منه وذهبت فى كل وجه ، فغضب صاحبها وأخذ حجراً رمى به الصنم ثم قال : لا بارك الله فيك نفرت على إبلي .

فهذا الرجل جاء يلتمس البركة من الوثن رغم أنه يقر أن البركة من الله تعالى بدليل قوله للوثن : لا بارك الله فيك، ويقول ابن إسحق أيضا :

« وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما يهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها »

هذه هى الوثنية عند العرب وقد اتفقت مع الوثنيات السابقة عليها فى أصول هى :

أولا : الأمر بدأ بتعظيم الموتى الصالحين واتخاذ قبورهم مطافا ومذبحا وعيدا .

ثانيا : الاستشفاع بأصحاب هذه القبور عند الله والتقرب بها إليه زلفى .

هذا وهو الذريعة التى أوصلت العرب إلى هذا التغيير والتبديل فى دين إبراهيم عليه السلام .

عقيدة العرب فى الجاهلية

العرب فى الجاهلية سماهم الله سبحانه وتعالى (مشركين) والشرك يتطلب أصلا وشريكا مع الأصل ، فالأصل فى نظرهم هو الله سبحانه وتعالى ، أما الشركاء فهى تلك الأوثان التى اتجهوا إليها بما لا يتجه به العبد إلا إلى خالقه جل شأنه .

والعرب فى الجاهلية رغم عبادتهم للأوثان إلا أنهم مع ذلك احتفظوا ببقايا من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعلى الأخص مناسك الحج والعمرة بعد أن أدخلوا فيها ماليس منها .

والعرب فى الجاهلية ما قالوا : إن هذه الأوثان تخلق وترزق وتنزل من السماء الماء ، بل هى فى نظرهم فقط مجرد وسائل

ووسائط عند الله تعالى تحقق لهم مطالبهم ، والقرآن الكريم في هذا صريح .

يقول تعالى : وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ... (1)

ويقول : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ (2) »

ويقول : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ (3) »

ويقول: « قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ (4) »

ويقول : « قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

---

(1) الآية ٦١ من سورة العنكبوت .
(2) الاية ٦٢ من سورة العنكبوت .
(3) الاية ٦٣ من سورة العنكبوت .
(4) الاية ٨٠ من سورة المؤمنون .

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ(١) »

ويقول : قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ(٢) »

ولما قدم أَبْرَهَةُ الحبشى لهدم الكعبة تركوا الأوثان وتعلقوا بحلق باب الكعبة يستغيثون بربها وهو الله تعالى أن ينقذها ويحميها من الهدم .

وفى حديث حصين والد عمران وقد سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه : ياحصين كم إلها تعبد اليوم ؟ قال : سبعة فى الأرض وإلها فى السماء ، قال : « إذا أصابك الضيق من تدعو ؟ » قال : الذى فى السماء قال : « فإذا هلك المال فمن تدعو ؟ » قال : الذى فى السماء .

من هذا الحديث تبدو عقيدة المشركين .

(١، ٢) الآيتان ٨٦ ، ٨٧ ، من سورة المؤمنون .

أولا : كانوا يعبدون الله تعالى ويعبدون معه آلهة أخرى، ولهذا سماهم الله تعالى مشركين ، لأنهم أشركوا فى العبادة ، وقد عرفت أصل الأوثان وكيف عبدت .

ثانيا : إذا اشتد عليهم الأمر وأصابهم الضيق وهلكت أموالهم عاد إليهم عقلهم وصوابهم ورشدهم ، وتركوا أوثانهم لأنها أصبحت فى نظرهم عديمة القيمة لا تجدى ، واتجهوا إلى الله وحده . أما فى غير ساعات الضيق والشدة فإنه يغلب عليهم العرف والتقليد وما تلقوه عن الآباء فيتجهون إلى الأوثان لطلب شفاعتها عند الله والتقرب بها إليه زلفى .

هذا هو مدى معرفة العرب فى الجاهلية لله تعالى وإقرارهم بوجوده وربوبيته وأنه المالك للأمر كله ، وأن ملكوت السموات والأرض بيده وحده ، إذن فعلام الاتجاه إلى الاوثان ؟

احتجوا على ذلك بأمرين ذكرهما القرآن الكريم

أولهما : « هؤلاء شفعاونا عند الله » .

ثانيهما : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

لأن الأوثان فى الأصل كما ذكر بالأدلة قبور الصالحين فاعتقدوا أن الطواف حولها والتمسح بها والذبح لها يجعل أصحابها يشفعون لهم عند الله ويقربونهم إلى الله زلفى . ولهذا جاءت نصوص القرآن صريحة تبين أن التقرب إلى الله تعالى لا يكون إلا كما يريد الله تعالى بالأعمال الصالحة ، وهذا شيء سنذكر أسانيده فيما بعد .

وكذلك جاءت نصوص القرآن الكريم تبين أن الشفاعة لله جميعا وأنه لا يشفع عنده إلا بإذنه وأنه لا يشفع عنده إلا لمن ارتضى .

يقول تعالى : « ولله الشفاعة جميعا » فلا تطلب إلا منه لا من الشفعاء ويقول : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » فالشافع لا يشفع إلا بإذن الله تعالى .

ويقول : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » فالمشفوع له لا بد أن يرضى الله تعالى عنه أولا .

* * *

تبرؤ

هناك أدلة قاطعة فى القرآن الكريم تثبت أن المشركين ما كانوا يدعون الحجارة والنصب إنما كانوا يدعون من صنعت لهم الحجارة والنصب وهم الأقوام الصالحون .

يقول الله تعالى :

« (١) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ »

فالله تعالى لا يصف الحجارة والنصب بأنها عباد أمثالهم ، إنما هذا يعنى من صنعت لهم الحجارة والنصب من الصالحين ، ويقول تعالى :

---

(١) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف .

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ » (١).

فالله تعالى لا يصف الحجارة والنصب بأنها أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون ، إنما الأموات الذين هم غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، هم الأقوام الصالحون الذين صنعت لهم الحجارة والنصب .

ويقول الله تعالى :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » (٢).

فقد وصف الله تعالى هؤلاء الذين اتجه إليهم المشركون بالدعاء والعبادة بصفات ثلاث :

---

(١) الاية ٢٠ من سورة النحل .
(٢) الاية ٥٧ من سورة الإسراء .

أولاً : يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب .

يعنى هؤلاء الذين أشركتموهم فى العبادة والدعاء مع الله تحت اسم التوسل بهم إليه فى صورة : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » و « ليقربونا إليه زلفى » هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب .

ثانيا : يرجون رحمته .

ثالثا : يخافون عذابه .

وهذا النص قاطع فى أن العرب فى الجاهلية عبدوا الأقوام الصالحين بدعائهم ، والتمسح بقبورهم ، لأن الله تعالى لا يقول عن الحجارة : يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إنما هذا يقصد به من صنعت لهم الحجارة والنصب .

وفى قوله تعالى : « ويرجون رحمته ويخافون عذابه » بيان للوسيلة الحقيقية إلى الله تعالى .

هذا وقد بين الله تعالى فى القرآن الكريم أن هؤلاء الأقوام الصالحين الذين التجأ إليهم المشركون بالدعاء والنذر والطواف حول قبورهم والتمسح بها واتخاذ الأعياد لها وغيرها من مظاهر العبادة . هؤلاء الصالحون سوف يتبرأون يوم القيامة مما فعله الناس بهم .

يقول الله تعالى :

« وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ؟ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ؟ . قَالُوا : سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا » .

ويقول جل شأنه :

---

(١) الآيات من ١٦ من سورة الفرقان إلى ٢٠ .

« وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ . فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ »

ويقول جل شأنه :

« ... إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ

ويقول جل شأنه :

« وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا : رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ » .

ويقول جل شأنه :

---

(١) الآية ٢٨ من سورة يونس .
(٢) الآية ١٤ من سورة فاطر .

« وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ، سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا » (١)

أى اتخذوا آلهة ليكونوا لهم عزا يعتزون بها ويستنصرونها ولكن هذه الآلهة سوف تكفر بعبادتهم يوم القيامة وتكون لهم خصماء .

ويقول جل شأنه :

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ » (٢) .

هذه النصوص كلها يتضح منها أمران .

أولهما : أصل الأوثان المعبودة القبور والنصب التى صنعت لأقوام صالحين .

ثانيهما : هؤلاء الأقوام الصالحون سوف يتبرأون يوم القيامة مما فعله الناس بهم .

---

(١) الآية ٨١ من سورة مريم .
(٢) الآية ٥ من سورة الاحقاف .

ماذا فعل الإسلام؟

أساسا للأجيال القادمة

لما كان منشأ الشرك عبر التاريخ كله هو تعظيم قبور الصالحين والافتتان بها ، واتخاذهم شفعاء ووسطاء عند الله سبحانه وتعالى ، والتقرب بهم إليه ، وأن ما أوقع العرب في الشرك هو الإحداث والابتداع في دين إبراهيم عليه السلام ، لكل هذا وضع الإسلام أصولا وأسسا يستأصل بها جذور الوثنية ،ويحول دون وقوع الناس فيها إذا التزموا هذه الأصول والأسس والتي تنحصر كلها في أربعة أسس :

الأول : القبور وهي الأصل ، وضع الإسلام لها قواعد وشروطا حتى لا يفتتن بها الناس كما افتتن السابقون .

الثاني : الإنسان مهما بلغ من التقوى والقرب من الله تعالى

فإنه لا يملك لنفسه ولا للناس من الله شيئا على عكس ما اعتقد المشركون فى الماضى .

الثالث : الوسيلة الحقيقية التى تقرب من الله تعالى هى العمل الصالح .

الرابع : النهى الصريح عن البدع ومحدثات الأمور فى الدين ، لأنها هى التى غير بها العرب ملة إبراهيم عليه السلام .

الاساس الأول

القبور والشروط التى وضعت لها

النهى أولا :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ فَلْيَزُرْ وَلاَ تَقُولوا هُجْراً » رواه الإمام أحمد والنسائى .

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه عن ابن مسعود ورواه الحاكم عن أنس ابن مالك .

فالنهى عن زيارة القبور كان فى بداية الإسلام لأنها منشأ الوثنية ، وبعد أن استقر الإسلام فى القلوب صرح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارتها بشرط ألا يقال عند القبور هجر ، وهو ما كان يقال فى الجاهلية من دعوة أصحاب القبور والاستغاثة بهم .

ما يقال عند الزيارة :

عن سليمان بن بريدة رضى الله عنه عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا :

« السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ - وفى لَفْظ لمسلم : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ نَسْأَلُ اللهَ لَنَا ولَكُم الْعَافِيَةَ » .

والمتتبع لزيارة القبور كما سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقال عن الزيارة وما يشترط في القبور ذاتها وما نهى

عله بالنسبة للقبور ، المتتبع لكل هذه الشروط يجد أنه قصد بها أمران .

أولهما : وهو الأهم البعد عن كل مظاهر وذرائع الوثنية والشرك ، وما وقعت فيه الأمم السابقة من الافتتان بالقبور وعبادتها .

ثانيهما : تحقيق النفع للحى والميت .

أما بالنسبة للحى فللعظة والاعتبار وتذكر الموت وهذا لا يتأتى إلا من زيارة قبور يخيم عليها سكون الموت وتحيط بها مظاهره ، قبور طرقها التراب ويعلوها الغبار ونسج العنكبوت عليها خيوطا ، أما إحاطة القبور بمظاهر الدنيا من الأبنية والنصب والزخرفة والقناديل والمقاصير التى تحجب القبر عن العيون كل هذا يفقد الفائدة من زيارتها .

أما بالنسبة للميت فيتحقق له النفع بالدعاء له بالمغفرة والرحمة يوصلها الله تعالى إن شاء .

هذا ما شرعه الإسلام عكس ما كانت عليه الأمم السابقة بالنسبة للقبور من الإساءة إلى الأحياء والأموات . الإساءة إلى الأحياء بالوقوع فى الشرك وأسبابه والإساءة إلى الموتى بوضعهم فى موضع السؤال يوم القيامة عما فعل الناس بقبورهم ، وإن كانوا سيتبرأون من الناس وأفعالهم .

والآن ننتقل إلى الأفعال التى نهى عنها بالنسبة للقبور حتى لا تتخذ ذرائع تفسد التوحيد .

* * *

النهى عن الصلاة إلى القبور وعندها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » رواه مسلم ، وفى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أنس ابن مالك يصلى عند قبر فقال : القبرَ . القبرَ.

الحديث يدل على النهى عن الصلاة إلى القبور ، وقول عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه يدل على النهى عن الصلاة عند القبور وإن لم تتخذ قبلة ، لأنه رأى أنس بن مالك يصلى عند القبر (لا إلى القبر) فقال محذرا : القبر . . القبر . . وعمر بن الخطاب لايكلم أنس بن مالك وهو يصلى ويحذره هكذا إلا لأمر هام يجب أن يتحول عنه وهو فى صلاته .

وقد اعتقد البعض خطأ أن علة النهى عن الصلاة إلى وعند القبور النجاسة ، وهذا الاعتقاد خاطىء لثلاثة أسباب .

الأول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن لاينجس حيا ولا ميتا » .

الثانى : النهى ينصرف إلى الصلاة ، إلى القبور وعندها حتى ولو كانت قبور أنبياء ، ومعلوم أن هؤلاء بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الأرض أجسادهم وليس للنجاسة إليهم سبيل .

الثالث: ينهى عن الصلاة إلى القبور وعندها حتى وإن مرت عليها السنون وأكلت الأرض مابها من أجساد ولم يعد يبقى

بها سوى عظام نخرة غير نجسه .

إذن علة النهى الوحيدة هى البعد عن تعظيم القبور والتعبد عندها والافتتان بها حتى لايكون هذا ذريعة لإفساد التوحيد والوقوع فى الوثنية كما وقعت الأمم السابقة .

النهى عن السفر إلى القبور

فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدِ . الْمَسْجِدِ الحرَامِ وَالْمَسْجِدِ الأَقصَى ومَسْجِدِى هَذَا » .

وذلك لأن المساجد الثلاثة المذكورة فى الحديث يتضاعف فيها الأجر أضعافا مضاعفة ، أما سائر المساجد فإن الأجر فيها واحد لا يتغير ولاتتفاضل عن بعضها إذا وافقت الشرع فى بنائها وشعائرها ، فيكون شد الرحال (السفر) إلى غير هذه المساجد الثلاثة عبثاً ومضيعة المال ، والوقت ، ومخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وظاهر الحديث يدل على النهى عن السفر إلى أى جهة أو بقعة أو مكان بقصد العبادة لميزة فى هذا المكان لا توجد فى غيره . فلا يجوز أن يسافر الإنسان إلى قبور أو قبر معين بقصد العبادة وزيادة القرب ، هذا ما فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل أن الصحابى بصرة بن أبى بصرة الغفارى لما رأى أبا هريرة راجعا من الطور الذى كلم الله تعالى موسى عليه قال: «لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد» رواه الموطأ وأصحاب السنن . ومعلوم أن الطور ليس بمسجد ، وإن كان بقعة مقدسة من الأرض حيث كلم الله تعالى موسى من جانبه .

وروى أحمد عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكر عنده الصلاة فى الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى للمطى (الركائب) أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدى هذا

والمسجد الأقصى » .

فمن أراد أن يزور القبور فعليه أن يزور القبور المجاورة له في بلده ، ومحل إقامته ، وعلة النهي عن شد الرحال إلى القبور هو أنه يفضي إلى اتخاذها أعيادا ، والعكوف عندها ، وهذا بالتالي يفضي إلى اتخاذها أوثانا تعبد ، فالهدف الأصلي هو حماية التوحيد الذي هو جوهر دين الإسلام .

* * *

النهي عن كسوة القبور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين »

لأن الكسوة تحجب منظر القبر وتحول دون العظة والاعتبار المقصودين من زيارة القبور ، ولأنها غلو في تعظيم المقبور ، والإسلام ينهى عن الغلو ، ولأنها إضاعة المال ، والاسلام ينهى عن إضاعة المال ، ولأن كسوة القبر تؤدي إلى الفتنة والوقوع في عبادة المقبور .

روى البخارى أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى فسطاطا (خيمة) على قبر عبد الرحمن فقال : انزعه ياغلام فإنما يظله عمله ، ولا يعرف فى دين الاسلام أن قبرا يكسى إنما الذى فى دين الإسلام كسوة الكعبة ، وهى بيت الله فلا يشبه بها القبر وهو بيت المخلوق .

النهى عن تعلية القبور والبناء عليها

فى صحيح مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على ابن أبى طالب : الا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »

وروى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام نهى عن تجصيص القبر وأن يبنى عليه .

وعن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها . رواه أبو داود .

وروى أبو داود عن جابر أيضاً أنه عليه السلام نهى عن تجصيص

القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه .

هذه الأوامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى عن تعلية القبور والبناء عليها تحمل فى طياتها النهى عن أشياء كثيرة منها النهى عن اتخاذ النصب فوق القبور ومنها النهى عن اتخاذ الحجرات والمقاصير والقباب فوقها ، وعلة النهى عن كل هذا واضحة وهى :

أولا : هذه الأشياء كلها كانت من أفعال المشركين وهى التى أوقعتهم فى عبادة القبور .

ثانيا : ألا يبدو من القبر مايسمح بالتمسح به أو تقبيله أو الطواف حوله .

ثالثا : لتمكين الظروف التى تسمح بالحكمة من زيارة القبور وهى العظة والاعتبار وتذكر الآخرة ، فاتخاذ المقاصير فوق القبور وزخرفتها كل هذا يحول دون إدخال الاعتبار بالموت فى نفس الإنسان وتسوية القبور تذكر الإنسان بقول الله تعالى : « (١) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

(١) الاية ٥٥ من سورة طه

تارة أخرى » .

هذا بالإضافة إلى سبب ثانوى هو النهى عن إضاعة المال فتعلية القبور وزخرفتها وبناء المقاصير عليها وما إلى ذلك مما لا يستفيد منه الحى أو الميت إضاعة المال .

النهى عن اتخاذ القبور أعيادا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تجعلوا قبرى عيدا ... » رواه أبو داود

والأعياد إما مكانية ، أو زمانية ، وهى اجتماع الناس فى يوم أو أيام معلومة فى مكان معلوم على وجه يتكرر بتكرار السنين . أو كما قال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره عيدا يعنى النهى عن الاجتماع عند قبره بطريقة معلومة فى أيام معلومة تعود بعود السنة ، إنما يزور المسلم قبره عليه الصلاة

والسلام كلما تمكن من ذلك بغير تخصيص ليوم أو أيام معلومة تتكرر بعود السنة .

وإذا كان قبره عليه الصلاة والسلام وهو أشرف القبور قد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولى . إنما نهى أصحابه عن اتخاذ أشرف القبور عيدا لينصرف النهى إلى غيره من القبور أيضا ، ولكن ماهى العلة فى هذا؟ .

أولا : هذا العمل عمل وثنى بحت ، بل إن اتخاذ القبور أعيادا كان البذرة الأولى للوثنية فى تاريخ الإنسان كما علمنا من دراسة تاريخ الوثنيه .

ثانيا : اتخاذ القبور أعياداً سوف يؤدى حتما إلى العكوف عندها والطواف والتمسح بها ، إلى غير ذلك من الشرع فى الدين بما لم يأذن به الله .

ثالثا : إن أصحابه عليهم رضوان الله إذا كانوا حرصاء وأمناء على التوحيد وفى حالة من الوعى والتمكن من الإسلام بحيث لايقعون فى الوثنية فإن اتخاذ القبور أعياداً قد يفضي

بالأجيال القادمة إلى الوقوع فى الوثنية والإشراك ، وقد قام الصحابة بتنفيذ هذا الأمر خير قيام فلم يجعلوا قبره عليه الصلاة والسلام عيداً ، ولم يجعلوا عيدا لقبر أبى بكر أو عمر أو على أو عثمان أو عائشة أو غيرهم .

يضاف إلى هـــذا أن الأعياد فى الإسلام من شرع الله سبحانه وتعالى ، وليس لأحد أن يشرع من الدين مالم يأذن به الله ، فعن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقـال : ماهذان اليومان ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى قد أبدلكم خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » .

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :إنى قد أبدلتكم خيرا منهما بل قال :«إن الله تعالى قد أبدلـكم خيرا منهما..» ليبين لأصحابه أن الأعياد فى الإسلام من شرع الله واتخاذ القبور أعيادا فوق أنه عمل وثنى فهو شرع فى الدين بمالم يأذن به الله .

وكذلك الإمام علي القاري باب النهي عن اتخاذ السرج في القبور ص٧٨

هذا أولا : لأن هذا العمل ذريعة لإفساد دين الله ، وعمل يمهد للوثنية وعبادة القبور ، ويفتح لها بابا ، بل كان هذا العمل من عادات الأمم الوثنية السابقة .

قد يعتقد البعض أن اللعنة هنا لإضاعة المال حيث لا فائدة من وضع السراج على القبر لكن الأمر أكبر من ذلك لأن إضاعة المال شيء مكروه عند الله تعالى كما ورد فى الحديث ، ولا يصل إلى حد استحقاق اللعنة ؛ فاتخاذ السرج على القبور وإن كان إضاعة المال يكرهه الله تعالى إلا أن فاعله يستحق اللعنة لسبب أكبر هو إقامة ذرائع الوثنية والشرك والضلال .

ثانيا : اتخاذ السرج على القبور يفسد الهدف من زيارتها وهو العظة والاعتبار برؤية المكان الذى تبدو فيه مظاهر الموت وسكونه ووحشته .

هذا واستحقاق اللعنة ليس شيئا قاصراً على اتخاذ السرج على القبور ، بل يدخل فى استحقاقها أيضا المتخذون على القبور الشموع والقناديل والكهارب (والنجف) والثريات لأن

كلمة النص تقتضى هذا ولم يكن يعرف وقت النهى إلا السرج بل إن لفظ السرج عام يسمح بأن تندرج تحته كل هذه الأشياء.

* * *

النهى عن النذور والذبح للقبور وعندها

الذبح والنذر لغير الله تعالى منهى عنه عموما مهما كان هذا الغير بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لعن[1] الله من ذبح لغير الله » ويقول : « من نذر لغير الله فقد كفر » .

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ عَقْرَ فى الإسلام » رواه أحمد وأبو داود وزاد : قال عبد الرازق : « كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة » .

ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عقر فى الإسلام

---

(١) من حديث طويل عن أبى الطفيل قال : « قلنا لعلى بن أبى طالب : أخبرنا بشىء أسره إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أسر إلى شيئا كتمه الناس ولكنى سمعته يقول : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم . المطيعي .

أن هذا العمل كان فى الجاهلية ومدمه الاسلام لأن اتخاذ القبور أوثانا يكون بالذبح والنذر لها .

ومعلوم أن النهى عن هذه النذور والذبائح الوثنية محقق ، وإن كان الذى يستفيد منها فى النهاية الفقراء لأن الموتى لا يأكلون منها شيئا .

* * *

النهى عن التشبه بأهل الكفر

فيما يفعلونه بقبورهم

النهى عن التشبه بأهل الكفر من سائر الملل والأديان ورد صريحا فى القرآن والسنة وذلك فى كل أمر من أمور دينهم وعباداتهم . يقول الله تعالى :

« ثم جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فاتَّبِعْهَا ولاَ تَتَّبِعْ أهواء الذين لا يعلمون[1] » وأهواء الذين لا يعلمون هى مايهوونه فى عباداتهم ، والذين لا يعلمون هم كل من خالف الإسلام . والآيات فى هذا كثيرة .

---

(١) الاية ٨١ من سورة الجاثية .

أما عن الأحاديث فمنها « ... ولا تشبهوا أهل الكتاب » « ... ولا تشبهوا اليهود » « خالفوا المشركين » « ... خالفوا المجوس » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتزال أمتي على مسكة (مايتمسك به من الخير) مالم ينتظروا بالمغرب استقبال النجوم مضاهاة لليهودية ومالم ينتظروا بالفجر محاق النجوم مضاهاة للنصرانية » .

هذا الحديث ينهى عن مضاهاة اليهودية والنصرانية إطلاقا، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره البوق فى الجمع للصلاة قبل أن يشرع الأذان لموافقته لليهود ، وكره الناقوس لموافقته للنصارى ، وكره النار لموافقتها للمجوس .

وهكذا يدخل فى النهى مايفعله أهل الكفر من بناء القبور المرتفعة ، ووضع النصب عليها ، وإحاطتها بالمقاصير النحاسية ، والتبرك بها وجعل الأعياد لها ، وبناء المعابد والأديرة

فوق قبور الرهبان والأحبار ، كل هذا من فعل أهل الكفر فنهى عنه الاسلام .

النهى عن اتخاذ القبور مساجد

١ — روى مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبدالله البجلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول : « ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك » .

٢ — عن عائشة وعبدالله بن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم (يعنى المرض) طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » أخرجه البخارى ومسلم .

وإذا كانت اللعنة لاتخاذ قبور الأنبياء مساجد فكيف

يكون الأمر لاتخاذ قبور غير الأنبياء مساجد ؟

٣ — وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا » رواه البخارى ومسلم .

وقد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة السيدة عائشة لنص صريح :« الأنبياء يدفنون حيث يموتون » وبقيت الحجرة منفصلة عن المسجد وعند توسيع المسجد لكثرة عدد المصلين اقتضت الضرورة ضم الحجرات ومنها حجرة السيدة عائشه وبها القبر ، ولكنهم بنوا على القبر حيطانا مرتفعة لئلا يظهر فى المسجد .

٤ — وفى صحيحى مسلم والبخارى عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره

مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » .

وروى أبو عائشه فى صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » .

٥ — وعن أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

٦ — روى مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

الحديث الأول والثانى والثالث من الأحاديث التى قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بزمن وجيز عندما اشتد عليه المرض . والملاحظ فى هذه الأحاديث كلها أنها مرة نهت صراحة عن اتخاذ القبور مساجد ، ومرة وصفت فاعل هـذا

بأنه مستحق للعنة الله ، ومرة وصفته بأنه من شرار الخلق ، ومرة وصفته باستحقاقه لغضب الله الشديد .

ومرة جاء الحديث يبين أن اتخاذ القبور مساجد يؤدي بها إلى أن تجعل أوثانا تعبد فقال :

« اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » تدبر الصلة بين الجزء الأول من الحديث والجزء الأخير تجد أن الأخير يؤدى حتما إلى الأول .

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى أن اتخاذ القبور مساجد من عمل أهل الضلال فقال فى أصحاب الكهف :

« إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ . قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا »(١) .

---

(١) الآية ٢١ سورة الكهف .

الذين عثروا على أصحاب الكهف بعد موتهم تنازعوا إلى فريقين :

الأول : رد الأمر إلى الله تعالى وطلب إقامة بنيان .

« وَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ » .

الثاني : رد الأمر إلى القوة والغلبة « قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا » .

فريقان أيهما يكون على حق ؟ الذي يقول : ربهم أعلم ؟ أم الذي يغلب على أمره ؟

وبهذا نكون قد انتهينا من الأساس الأول الذي وضعه الإسلام حتى لاتقع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيما وقعت فيه الأمم السابقة من اتخاذ القبور أوثانا ، وذلك بوضع الشروط للقبور ، والنهى عن كل الأفعال التى تعد ذرائع للشرك ، وغلق كل الأبواب التى تفتح على الوثنية .

والآن ننتقل إلى الأساس الثاني ، وهو أن العبد مهما بلغ

من التقوى والقرب من الله تعالى فإنه لا يملك لنفسه ولا للناس من الله تعالى شيئا ، لأن الاعتقاد فى غير هذا هو الذى أوقع مشركى الجاهلية فى اتخاذ أصحاب القبور الصالحين وسطاء عند الله يقربون إليه و يشفعون عنده .

النهى عن الطواف بالقبور وتقبيلها

والتمسح بها، والعكوف عليها

أما عن الطواف بالقبور فقد جعله الله تعالى خاصا بالكعبة فقال:

« وليطَّوَّفوا بالبيتِ العتيقِ[1] » وقال « وعَهِدْنا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسْماعِيلَ أنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِين[2] » فلا يجوز أن يشبه القبر وهو بيت الميت بالكعبة وهى بيت الحى فيطاف به.

أما عن التقبيل فلم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل من الحجارة على سبيل العبادة إلا الحجر الأسود، وفى هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه:

« إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ».

---

(١) الآية ١٢٩ من سورة البقرة

(٢) الآية ٢٥ من سورة الحج

وهكذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبلوا من الحجارة إلا الحجر الأسود لأنه يمين الله فى الأرض ، وتقبيله مبايعة لله ، فلا يجوز أن تشبه به القبور . وأحجارها ومقاصيرها، أما عن التمسح فلم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم إلا الركن اليمانى من الكعبة فهو الذى كان يمر عليه بيده ومن الإثم الكبير أن تشبه بيوت الموتى ببيت الله الحرام .

كما أنه لا يجوز للانسان أن يلصق صدره ويقف داعيا عند القبور ، فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عند الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة حيث وقف وألصق صدره ورفع يديه يدعو الله تعالى فى ضراعة وخشوع ، فلا يجوز لمسلم أن يفعل هذا عند القبور .

أما العكوف فلا يجوز أن يكون إلا فى المساجد يقول الله تعالى : « أن طَهِّرَا بيتى للطائفين والعاكفين والرُّكَّعِ السجود » ويقول « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد[1] » .

(١) الآية ١٨٧ من سورة البقرة

أما القبر فلا يعكف عليه أو عنده إنما يقوم المسلم عنده داعيا لصاحبه بالرحمة والمغفرة بغير طواف أو تقبيل أو تمسح أو عكوف ، حتى لا يشبه القبر وهو بيت المخلوق الميت الهالك الفانى ببيت الله الحى الباقى ، له العزة والجلال والإكرام والكبرياء.

النهى عن اتخاذ السرج فى القبور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لعن[1] الله زائراتِ القبور والمتخذينَ عليهاَ المساجدَ والسُّرُجَ » هذا النهى جاء فى صورة اللعنة ، وهى الطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى ، وقد يبدو لأول وهله أن وضع السراج على القبر عمل بسيط لا يستحق فاعله لعنة الله ، ولكن الأمر أكبر من ذلك ، لأن لعنة الله لاتحل إلا على من يرتكب جرما كبيرا ، فهل وضع السراج على القبر أمر خطير إلى هذا الحد ؟ نعم . التفصيل فى ص ٦٦ فارجع اليه الى آخر الباب ثم راجع الشرح على الشذرات

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى . المطيعى

الأساس الثانى

ضعف الانسان

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »(١) .

يا أيها الناس : خطاب إلى الناس جميعا بما فيهم الأنبياء والأتقياء فالأنبياء والمرسلون وهم أعلى مراتب البشر مع ذلك فقراء إلى الله لا يملكون لأنفسهم ولا للناس من الله شيئا والقرآن فى هذا صريح .

نوح عليه السلام «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ(٢) »

«وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٣) » .

---

(١) الآية ١٥ من سورة فاطر .

(٢) الآية ١٠ سورة القمر .

(٣) الآية ٧٦ من سورة الأنبياء .

« يعقوب عليه السلام إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ[1] » .

وقال لأولاده « مَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ » .

يوسف عليه السلام « وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ . فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ » .

أيوب عليه السلام « وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ[2] وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ » .

يونس عيله السلام « . . فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ . . »[4] .

زكريا عليه السلام « رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ

(١) الآية ٨٦ سورة يوسف .

(٢) الآية ٨٣ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٨٧ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية ٨٩ سورة الأنبياء .

أَوْ وَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى » .

محمد صلى الله عليه وسلم « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا[1] » .

ولهذا لما اتهمت زوجته المطهرة مكث مايزيد على الشهر مهتما لايدرى من الأمر شيئا حتى نزلت البراءة من عند الله تعالى ، ومات ولده وهو بين ذراعيه لا يملك إلا الدموع من عينيه رحمة ، والقلب كله تسليم ورضى .

ومات صاحبه أسعد بن زرارة بالسكتة القلبية فاتخذ اليهود والمنافقون ذلك ذريعة لنفى نبوته فقال : « يقولون لو كان نبيا ما مات صاحبه ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا » .

وقال لابنته فاطمة : « لا أملك لك من الله شيئا » رواه البخارى .

---

(١) الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

وقال لأصحابه : « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » . رواه الطبرانى .

وقال له الله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ »[1] فهناك مجادلة وشكوى : أما المجادلة فكانت بين المرأة ورسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الشكوى فكانت بينها وبين الله تعالى ، ولم تكن بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا أقرب الخلق إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لزوجه ولا لابنته ولا لأصحابه شيئا ، والاعتقاد فى غير هذا هو الذى أوقع الأمم السابقة فى الشرك والوثنية .

(١) الآية الأولى من سورة المجادلة .

الأساس الثالث

ثقة واطمئنان

لما كان الإنسان ضعيفا وإرادته وقوته كثيرا ما تقف عاجزة أمام الأحداث والمشاكل والرغبات . ولما كان الإنسان دائما فى حاجة إلى من يدفع عنه الضر ويجلب له النفع . فإنه وقد أعيته وسائل الدنيا العادية وعجزت إرادته عن تحقيق ما يريد ، فإنه يبحث عن قوة أكبر وإرادة عليا يرغب ويرهب إليها ،ومن هنا كان اللجوء إلى الأوثان والشركاء والوسطاء والشفعاء ، فالمسألة إذن ضعف وعجز فى الإنسان اقترن بالجهل وعدم التفكير .

ومن ناحية أخرى فإن الإنسان يعتقد أنه لا يستطيع الوصول إلى خالقه لتحقيق رغباته إلا عن طريق الوسطاء والشركاء ظنا منه أن هذا يقرب من الله تعالى فأراد الله

سبحانه وتعالى أن يبعد الإنسان عن اللجوء إلى الشركاء والوسطاء لتحقيق المطالب فجاءت النصوص صريحة واضحة تطمئن الإنسان وتجعله يثق بربه وخالقه، ويلجأ دائما إليه بغير وساطة وأن الله تعالى مع علوه وعظمته وجبروته وكبريائه فهو الرحمن الرحيم السميع المجيب.

يقول الله تعالى:

« أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ ؟ »[1].

أما نفي الوسطاء والشركاء فقد جاء في قوله: « وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... »[2].

ويقول: « وَقَالَ رَبُّكم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .. »[3]

(١) الآية ٦٢ من سورة النمل.
(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٦٠ من سورة غافر.

وَيقول « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَاتُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١) » .

آيات كلها تدفع إلى الثقة والاطمئنان ونفى الوسطاء والشركاء بين العبد وخالقه وتدعو الإنسان إلى أن يلجأ مباشرة إلى الله تعالى خالقه ليكشف عنه السوء ويجلب له النفع فهو سميع قريب مجيب ، ليست هناك رغبة وسيط ، أو إرادة شريك ، تجعله يستجيب و بدونها لا يجيب ، فهو الأقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وما على الإنسان إلا أن يطهر نفسه ويتقرب إلى ربه بالأعمال الصالحة .

والقرآن الكريم وردت فيه آيات كثيرة تحطم الذريعة الكبرى التى تذرع بها المشركون ؛ فعبدوا الأوثان وهى : « وَقَالُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ » و « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَي (٢) » .

---

(١) الآية ١٦ من سورة ق .

(٢) الآية ١٨ من سورة يونس .

الأساس الرابع

النهى عن الابتداع

الابتداع هو الذى جعل العرب يغيرون ملة إبراهيم عليه السلام ، وأوقعهم فى الشرك ، ولذلك جاء دين الإسلام يقرر أن كل شرع فى الدين إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى : « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ[1] » كما جاءت الأحاديث تنهى عن البدع ومحدثات الأمور .

« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد[1] » .

« إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » .

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقة الناجية

---

(١) الآية ٢١ من سورة الشورى .

(٢) الحديث لفظه : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا . المطيعى

فقال : « هى ما كانت على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .

ولم يوافق عليه الصلاة والسلام على زيادة حجم الحصاة التى يرمى بها الجمرات فى الحج عن حبة الفول وسمى الزيادة غلوًّا وقال : « إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»(١) .

وعلم عليه الصلاة والسلام أصحابه ما يقال عند النوم ومنه « ... آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت » فأعاد أحد أصحابه الكلام وقال: آمنت بكتابك الذى أنزلت ورسولك الذى أرسلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معترضا :«... لا وبنبيك الذى أرسلت» فلم يوافق على تغيير كلمة برسولك إلى كلمة بنبيك . ومر ابن مسعود رضى الله عنه بامرأة تسبح بخرز فقطعه وألقاه ثم مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله ثم قال: لقد جئتم ببدعة ظلما أو لقد غلبتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما .

---

(١) الحديث رواه أحمد فى مسنده والنسائى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . المطيعى .

وهكذا سمى هذا الصحابى الجليل التسبيح بالحصى والخرز بدعة وظلما، وإن كان تسبيحا لله تعالى .

وقال عبدالله بن مغفل رضى الله عنه : « سمعنى أبى وأنا أقول : بسم الله الرحمن الرحيم (يعنى فى الصلاة) فقال يابنى إياك والحدث فإنى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقولها فلا تقلها إذا أنت تقرأ (يقصد لا تجهر بها) وقل : الحمد لله رب العالمين » قال ولم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أبغض إليه حدثا فى الإسلام منه .

من استعراض هذه الأحاديث تعلم الآتى .

أولا : مجرد الزيادة فى حجم الحصاة التى يرمى بها الجرات غلو فى الدين يؤدى إلى الهلاك

ثانيا : اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم على تغيير كلمة فى حديثه بأخرى (نبيك ورسولك)

ثالثاً : الصحابة اعتبروا التسبيح بالخرز والحصى بدعة وظلما.

رابعا : الصحابة اعتبروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة حدثا في الصلاة .

من كل هذا تعلم أن الدين لا يسمح بإدخال شيء جديد في العبادات ، وإن قصد به التعبد والتقرب إلى الله تعالى ، لأننا لا نتقرب إلى الله تعالى إلا كما يريد وكما شرع لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وذلك : لأن ما أوقع العرب في الوثنية هو إدخال الشيء الجديد على ملة إبراهيم عليه السلام كما ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الوثنية مصدرها الجهل والتقليد

يقول الله تعالى :

« أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » فالذى يتجه إلى غير الله تعالى بالعبادة هو في الحقيقة يجهل عظمة الله تعالى وصفاته ، وهذا الجهل يدعمه التقليد الأعمى للناس والآباء

والأجداد والعُرف والتقاليد. فالناس عندهم ولع شديد بأمرين.

أولهما : التمسك بما ترعرعوا عليه وورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، فما من رسول بعثه الله فى قوم إلا كانت حجتهم أنهم وجدوا آباءهم هكذا يفعلون ألا ترى أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه أن يقول : لا إله إلا الله فلقنه عبدالله بن أبى أمية وأبو جهل الحجة الملعونة وهى التمسك بدين الآباء فقالا له (أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ » فكان آخر ماقاله أبو طالب هو : على ملة عبد المطلب ، رواه البخارى ومسلم .

ثانيا : الشىء الثانى الذى يتمسك به الناس هو السير فى ركاب الأغلبية والكثرة العددية وقد وصف الله تعالى هذا العمل بأنه عمل بهيمى ، لأن البهائم هى التى تسير دائماً خلف مقدمة القطيع مع الكثرة ، ولذلك قال تعالى يصف

الكفار : « أولئك كالأنعام بل هم أضل »[1] لأنهم اتبعوا الكثرة بغير تفكير . أما عن الكثرة فقد قال تعالى :

« وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله »[2] وقال: « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »[3] وقال : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين[4] » وقال « ولكن أكثر الناس لا يعلمون[5] .

(١) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ١١٦ من سورة الأنعام .
(٣) الآية ١٠٦ من سورة يوسف .
(٤) الآية ١٠٣ من سورة يوسف.
(٥) الآية ٢٦ من سورة الجاثية .

خاتمة

وبهذا نكون قد انتهينا من دراسة تاريخ الوثنيه وكيف نشأت ، وكيف عبدت الأوثان، وموقف الإسلام ، والأسس التي وضعها حتى لاتنزلق هذه الأمة إلى هاوية عبادة الأوثان كما أنزلقت الأمم السابقة فعبدت التوابيت والنصب والحجارة والقبور ، لأنه كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية » فلم يبق إلا أن تتحطم أغلال التقليد ، ولم يبق إلا أن يتحرر الإنسان من ربقة التبعية والتعصب للعرف والتراث الضال ، ولم يبق إلا أن تتمزق العصابة وتزول الغشاوة عن العين ،الغشاوة التي ترسبت عبر الأجيال الطويلة التي مرت على مولد الحق والنور فحجبت عن العين معالمه .

فيتحرر الناس من ذل الوثنية التي عادت إليهم أو عادوا إليها تحت اسم التبجيل والتعظيم لذكرى الأولياء الصالحين ،

فعبدوا التوابيت والمقاصير والقبور ، وقالوا : يقربوننا إلى الله زلفى ، وكان لهم من بعض أئمتهم عون على الوقوع في الهاوية فعادت أعياد اللات والعزى ومناة تحت ستار أسماء أخرى ، ولم يعد لهم من ملة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بقايا لا تزيد عما بقي للعرب من ملة إبراهيم عليه السلام .

وإذا كان أهل الكتاب حرفوا الكلم عن مواضعه فإن هؤلاء حرفوا معنى الكلم عن مواضعه ، وإن كان الكلم محفوظا إلى أن تقوم الساعة وتحريف التأويل لا يقل في خطورته عن تحريف التنزيل ، لأن الهدف واحد هو إضلال الناس .

فأوحت شياطين الجن إلى شياطين الإنس معنى لبعض آيات الكتاب يخالف الحق فمهدوا به الطريق للوثنية كي تعود . .

فأقيمت المعابد فوق القبور . . .

ووضعت النصب فوق القبور . . .

ووضعت مقاصير الذهب والفضة والنحاس فوق القبور

وسيقت القرابين والذبائح والنذور للقبور . . .

وعكف الناس على القبور . . .

وطافوا حولها خاشعين سائلين طالبين . .

وجعلوا لها الأعياد والأيام . .

ولا يوجد شرع من شرع الله فى القبور إلا وداسه الناس تحت الأقدام . . .

ثم كان لهم من أئمتهم ورجال كهنوتهم من يقول لهم هذا هو : « وابتغوا إليه الوسيلة » فحرفوا معنى الكلم عن مواضعه ليحافظوا على السلطان الروحى ، وحصيلة الأوثان التى أقيمت لاسم من كانوا منها أبرياء، وأرادوا بهذا التحريف أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

والحمد لله رب العالمين

.. .. ..

طبع فى غرة محرم سنة ١٣٨٧

فهرست كتاب الأوثان

الموضوع	صفحة